لكن شيئاً ما يكدر صفو هذا النصر على أبي بكر.. ذلك هو والده الشيخ الطاعن في السن والعمى والشرك.. فأين هو الآن؟

أين والد الصديق

في الوقت الذي كلف النبي ﷺ أبا بكر بالإشـــراف على الخيل.. كان والده يرقبه مـــن بعيد رغم أنه أعمى، وبصحبته طفلة هي أصغـــر أخوات أبي بكر الصديق وذلك «لما وقف رسول الله ﷺ بذي طوى قال أبو قحافة لأصغر بناته: أظهريني على الجبل. وكان يومئذ أعمى.

قالت: فأشرفت به عليه، فقال: ما ترين؟ فقالت: سواداً مجتمعاً. فقال: تلك والله الخيل. قالت: وأرى بين يدي ذلك السواد رجلاً يسعى مقبلاً ومدبراً. فقال: ذاك الوازع -يعنـــي الذي يأمـــر الخيل ويتقدم إليها- وكان الوازع يومئذ أبـــو بكر ابن أبي قحافة. فقالت: وأرى أن ذلك السواد قد انتشر. فقال: قد والله دفعت الخيل فأسرعي.

فانحدرت به من الجبل وتلقته الخيل قبل أن يصل إلى بيته، وكان في عنق الجارية طوقاً لها من ورق، فمر عليها رجل فاقتطعه منها»[1] وذهب العقد ولكن هناك ما هو أهم من العقد بالنســـبة للعباس ابن عبد المطلب.. هناك قريش وأهل مكة، لكن يبدو أن أبا سفيان لا يزال مشدوهاً.. مأخوذ العقل بما يجري على ساحة كانت قبل ساعات ساحة يظللهـــا نفوذه، وتخضع لكلمته، وها هو اليوم لا يملك نفوذاً ولا كلمة. فأراد العباس أن يوقظه مما هو فيه من أوهام، فالخيل إلى مكة ومن عليها أكثر شوقاً ولهفة.

يقـــول العباس رضـــي الله عنه: «قلت النجاء إلى قومـــك. فخرج حتى إذا جاءهم صرخ بأعلى صوته: يا معشـــر قريش.. هذا محمد قد جاءكم بما لا قبَلَ لكم به، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن.

فقامت إليه امرأته هند بنت عتبة، فأخذت بشاربه فقالت: اقتلوا الدسم الأحمس فبئس من طليعة قوم.

---

(١) ســـنده صحيح رواه ابن إسحاق ومن طريقه ابن راهويه ١-١٣٢ والطبرني ٢٤-٨٨ وأحمد ٦-٣٤٩ حدثني يحيى بن عباد عن أبيه عن أسماء بنت أبي بكر وقد مر معنا .

قال: ويحكم لا تغرنكم هذه من أنفسكم فإنه قد جاء ما لا قبل لكم به، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن.

قالوا: ويلك وما تغني عنا دارك؟ قال: ومن أغلق بابه فهو آمن.. ومنُ دخل المسجد فهو آمن.

فتفرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد»[1] يطاردهم الموت في كل شبر طاردوا فيه النبي ﷺ وأصحابه..

ها هو الموت يحمله عشرة آلاف محارب تغص بهم مكة، وها هي طرقات مكة تخلو من أهلها الذين طالما نشروا الرعب والتعذيب والاضطهاد فيها.. هاهي طرقات مكة لا يسير فيها إلا مؤمن، وهاهي ساحاتها التي عذب فيها بلال وعمار وخباب تهتز فرحا وربيعاً بهم، وهاهو الشرك وأهله يفرون كالفئران إلى مساكنهم، وإلى المسجد الحرام، فقد عزلوا كالطاعون والأوبئة في تلك البيوت.

أحدهم يحمل متاعه، ويتسلل هارباً نحو آخر معاقل المشركين.. إنه وحشي قاتل حمزة عم النبي ﷺ وحبيبه.. لم يستطع أن ينعم بحريته التي حصل عليها، والتي دفع ثمنها غالياً جداً، ومع ذلك فهو يشعر بجبال مكة تتحول إلى حتف يكاد يطبق على صدره، ويشعر بفداحة جرمه، وكأن هؤلاء العشرة آلاف قد جاءوا للأخذ بثأر حمزة. لذلك فر وحشي إلى الطائف.

لنترك وحشي ولنتجه إلى الصحابة الذين يعودون إلى بيوتهم، ومراتع طفولتهم، وبيت ربهم دون قيد أو شرط، أو طعنة، أو ضربة سوط. أين أبو جهل وأبو لهب وأمية وعقبة ليشهدوا هذا المنظر، الذي عاشوا لاغتياله واغتيال من يتمناه؟

أما أبو سفيان فبعد أن لفته الفاجعة ذهب هذه المرة بنفسه خائفاً بعد أن قال ﷺ «احصدوهم حصداً.... فقال أبو سفيان: يا رسول الله أبيحت خضراء قريش.. لا قريش بعد اليوم؟ فقال رسول الله ﷺ: من أغلق بابه فهو آمن، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن، فأغلقوا أبوابهم»[2] لكن:

---

(١) سنده صحيح مر معنا تخريجه تحت عنوان فتح مكة رواه ابن إسحاق ومن طريقه الطبراني ٨-٩ حدثني الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس .

(٢) حديث صحيح رواه مسلم ٣-١٤٠٥ وغيره مر قبل قليل وهو حديث أبي هريرة.

هذا الأمان لا يشمل أربعة من مشركي قريش

ربما لرفعهم السلاح ومقاومتهم للمسلمين، وربما لجرائم شنيعة ارتكبوها، وقد استثناهم ﷺ وذلك «يوم فتح مكة.. أمن رسول الله ﷺ الناس إلا أربعة وامرأتين، وقال: اقتلوهم وإن وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبة: عكرمة بن أبي جهل، وعبد الله بن خطل، ومقيس بن صبابة، وعبد الله بن سعيد بن أبي سرح»[1].

ما مصير هؤلاء الأربعة الذين أهدر دمهم

خبر ورود هذه الأسماء ضمن لائحة المطلوبين أمواتاً ينتشر الآن في مكة، وكلما انتشر الخبر في مكان خسر هؤلاء مساحة من الأمن والأرض، حتى أصبحت مساكن مكة وطرقاتها، ووديانها وجبالها تضاريس للموت، والرعب الذي لا يطاق.

أما عكرمة بن أبي جهل وخليفة والده في حمل لواء العنف ضد الإسلام والمسلمين، فقد فر على وجهه من مكة حتى وجد نفسه أمام البحر«فركب البحر»[2]

وأما مقيس فيبدو أنه لم يأخذ وقتاً طويلاً حتى قضي عليه، فقد «أدركه الناس في السوق فقتلوه»[3]

أما ذلك المرتد المدعو عبد الله بن أبي سرح، والذي كان أحد كتبة الوحي الذين تم الاستغناء عنه وعن كتابته، فهو مختبئ نادم على ما صدر عنه من سخافات، فالنبي ﷺ مازال حياً، والوحي لم ينقطع ينزل كل يوم، وجبريل يراجع لمحمد عليهما السلام كل عام ما نزل من القرآن، وبالتحديد في هذا الشهر (رمضان) من كل عام.. أما ابن أبي سرح

---

(١) حديث حسن وسنده ضعيف رواه ابن أبي شيبة وغيره عن طريق أسبان بن نصر عن السدي عن مصعب ابن سعد عن أبيه. وأسباط له أخطاء وهو من رجال مسلم وهو صدوق التقريب ٩٨ وشيخه أوثق منه: صدوق يهم أي أن حديثه حسن إذا لم يخالف وهو من رجال مسلم أيضاً ومصعب تابعي ثقة: التقريب ٥٣٣ لكن الحديث له شاهد وهو مرسل عكرمة ولم يذكر فيه عكرمة ويشهد لذكر عكرمة حديث ابن أبي شيبة ٧-٤٠٢ وللحديث شاهد عند الطبراني ٦-٦٦ وغيره من طريق عمرو بن عثمان المخزومي وهو مقبول عند المتابعة حسب التقريب ٤٢٤ ثم وجدت له شاهداً يرفعه إلى درجة الحسن عند البزار: زوائد ٢٣٤٤ من طريق مبارك بن فضالة عن الحسن عن أنس ومبارك والحسن ثقتان لكنهما مدلسان وقد عنعنا وحديثهما في هذه الحالة حسن بالشواهد.

(٢) جزء من الحديث السابق.

(٣) صحيح البخاري ٢-٥٧٢ واللفظ الثاني عن ابن عمر رضي الله عنهما.

فقد خسر شرف الكتابة، وشرف الأمانة، وشرف الفروسية والنصر، وهو الآن يفتش عن ثقب إبرة يهرب من خلاله.

أما الشقي الرابع ابن أخطل فقد أغلقت في وجهه أبواب الهروب، ففر إلى الكعبة كخيار أخير للنجاة من الموت، وهو الآن متعلق بأستار الكعبة، وسنتركه معلقاً لنعود إلى النبي ﷺ كي نعرف آخر تحركاته.

إنه الآن على أبواب مكة، وهو يهم بدخولها هذه المرة من مكان يقال له: (كداء)، وهو في أعلى مكة، ومعه الرجل الذي حدد مكان الدخول.. صاحبه وشاعره حسان رضي الله عنه، وذلك قبل سنة أو أقل من هذا اليوم.

الشعر يحدد مكان دخول النبي لفتح مكة

تقول عائشة رضي الله عنها «إن النبي ﷺ لما جاء إلى مكة دخل من أعلاها»[1] «من كداء، من الثنية العليا التي بالبطحاء»[2]

وركز رايته بجبل من جبال مكة يقال له (الحجون)، وأمر الزبير بن العوام رضي الله عنه بركزها هناك، كما أمر قوات خالد بن الوليد بالدخول من كداء أيضاً، لكن خالداً لقي مقاومة هناك، وقد خسرت قواته اثنين من الرجال رضي الله عنهما..

ها هو «العباس يقول للزبير بن العوام: يا أبا عبد الله هاهنا أمرك رسول الله ﷺ أن تركز الراية. وأمر رسول الله ﷺ يومئذ خالد بن الوليد أن يدخل من أعلى مكة من كداء، ودخل النبي ﷺ من كداء، فقتل من خيل خالد بن الوليد رضي الله عنه يومئذ رجلان: حبيش ابن الأشعر، وكرز بن جابر الفهري»[3]

أما عن قصة ذلك التحديد فترويه لنا عائشة بنت الصديق رضي الله عنها فتقول: «إن رسول الله ﷺ قال: اهجوا قريشاً فإنه أشد عليها من رشق بالنبل.

---

(١) صحيح البخاري ٢-٥٧٢ واللفظ الثاني عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) صحيح البخاري ٢-٥٧٢ واللفظ الثاني عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) صحيح البخاري ٤-١٥٥٩ والصواب من أسفل مكة بالنسبة لخالد.

فأرسل إلى ابن رواحة فقال: اهجهم فهجاهم. فلم يرض. فأرسل إلى كعب بن مالك، ثم أرسل إلى حسان بن ثابت، فلما دخل عليه قال حسان: قد آن لكم أن ترسلوا إلى هذا الأسد الضارب بذنبه، ثم أدلع لسانه[1] فجعل يحركه فقال: والذي بعثك بالحق لأفرينهم بلساني فري الأديم.

فقال رسول الله ﷺ: لا تعجل فإن أبا بكر أعلم قريش بأنسابها، وإن لي فيهم نسباً حتى يخلص لك نسبي، فأتاه حسان ثم رجع فقال: يا رسول الله.. قد خلص لي نسبك، والذي بعثك بالحق لأسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين.

قالت عائشة: فسمعت رسول الله ﷺ يقول لحسان: إن روح القدس لا يزال يؤيدك ما نافحت عن الله ورسوله. وسمعت رسول الله ﷺ يقول: هجاهم حسان فشفى واشتفى

قال حسان:

هجوت محمداً فأجبت عنه ... وعند الله في ذاك الجزاء
هجوت محمد براً تقياً ... رسول الله شيمته الوفاء
فإن أبي ووالده وعرضي ... لعرض محمد منكم وقاء
ثكلت بنيتي إن لم تروها ... تثير النقع من كنفي كداء
يبارين الأعنة مصعدات ... على أكتافها الأسل الظماء
تظل جيادنا متمطرات ... تلطمهن بالخمر النساء
فإن أعرضتموا عنا اعتمرنا ... وكان الفتح وانكشف الغطاء
وإلا فاصبروا لضراب يوم ... يعز الله فيه من يشاء
وقال الله قد أرسلت عبداً ... يقول الحق ليس به خفاء
وقال الله قد يسرت جنداً ... هم الأنصار عرضتها اللقاء
لنا في كل يوم من معد ... سباب أو قتال أو هجاء

---

(١) أخرجه من بين شفتيه.

فمن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء

وجبريل رسول الله فينا وروح القدس ليس له كفاء»[1]

بهذا المستوى من الشعر يفتح الشاعر الإسلامي المستقبل على مصراعيه.. يرسم أشكالاً أرقى للحياة، ويعمق الشعور باللا مستحيل في حياة طاقتها يقين كالوحي. عندما قال حسان هذه الأبيات.. لبى شيئاً من طموح النبي ﷺ الذي لم يرتق إليه شعر ابن رواحة، ولا شعر كعب رضي الله عنهما، ومازال هذا الطموح حياً يطلق الشعر إلى تلك المستويات الغائبة المأمولة، ولئن كان للقرآن مسافات هائلة ومذهلة ومعجزة، إلا أنه لم يزح الشعر عن عرشه.. ترك له عرشه، لكنه قدم له تحدياً قاسياً أن يردم تلك المسافات الشاسعة بينهما. إذاً فالشعر في الإسلام إما أن يكون قطعاً لمسافات جديدة أو لا يكون.

القرآن اليوم يفتح مكة لينطلق منها إلى غيرها، فماذا سيقدم الشعر؟، وماذا سيفتح.؟ لا أدري لكنني اليوم أرى النبي ﷺ يفسح للشعر طرقاته.. هاهو يقول في طريقه لفتح مكة كلمات تحتفي بالشعر.. سمعها ابن عمر ورواها فقال: «لما دخل رسول الله ﷺ عام الفتح، رأى نساء يلطمن وجوه الخيل بالخمر، فتبسم فقال: يا أبا بكر كيف قال حسان بن ثابت؟ فأنشد أبو بكر:

عدمت بنيتي إن لم تروها تثير النقع من كنفي كداء

ينازعن الأعنة مسرجات يلطمهن بالخمر النساء

فقال رسول الله ﷺ: ادخلوا من حيث. قال حسان»[2]

حسان الذي لم يكتف بجعل الشعر تعبيراً عن تجربة شعورية بصورة موحية، بل تجاوزها إلى جعله كشفاً وإضاءة للقادم، وتشكيلاً له. لا على طريقة المأخوذين

---

(١) صحيح مسلم ٤-١٩٣٥.

(٢) سنده قوي الطحاوي في شرح المعاني ٤-٢٩٦ واللفظ له وآخره للحاكم ٣-٧٦ من ن قوله فقال رسول الله. من طريق إبراهيم بن المنذر بن الحزامي ثنا معن بن عيسى حدثني عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما نافع وعبيد الله ثقتان معروفان ومعن ثقة ثبت: التقريب ٥٤٢ وتلميذه صدوق من رجال البخاري: التقريب ٩٤ .

بالسياحة في الحلم، بل بأسلوب المأخوذين بإنجاز الحلم؛ كيف لا وهو يسير خلف هذا النبي العظيم، الذي ينحدر كالسيل نحو مكة العطشى، ولما وصلها لم يجد في طرقاتها سوى الهواء النقي، والذكريات الجميلة والمريرة. هنا ولد، وهنا كان يتهادى طفلاً نحو آمنة، وهنا كان يلعب مع أبي بكر وأصحابه، وهنا كانت أمه الحبيبة تناديه وتحمله وتلاعبه. هنا كان يسير مع جده وعمومته وأبناء عمومته.. هنا التقى بخديجة، وهنا تزوجا، وهنا ولدت زينب وفاطمة وأم كلثوم ورقية. من هنا جاء يركض.. يخبر خديجة عن جبريل، وهنا دعا الناس، وهنا كذبوه، وهنا صدقوه وناصروه، وهنا خذلوه وعذبوه.. هنا مكة.. ما أطيبها وأطيب ريحها.

ذكريات تطوف لا شك بروح أبي بكر وبلال وعمر وعمار وعلي وعثمان وخباب وصهيب، وبقية المهاجرين من مكة.. لا بد أن بعض الدموع والزفرات خالطت فرح السير في طرقاتها الجميلة، ومواكب الإيمان الجارفة ونشوة النصر العظيم لا تسكر الفرسان المؤمنين عن شكر الله وذكره..

يقول أحد الصحابة الذين كانوا يرقبون النبي ﷺ يوم الفتح وينصتون إليه: «رأيت رسول الله ﷺ يوم فتح مكة على ناقته وهو يقرأ سورة الفتح يرجع»[1] أي يردد القراءة.

كان لسانه وقلبه امتنان لله الذي أكرمه بنصره، وكانت طريقته وهو يتقدم ذلك الجيش الضخم.. الممتزج بعظماء الرجال تتضح بالتواضع في أرقى صوره وأعظمها.. لم يكن ﷺ وحده على ناقته.. لم يكن مردفاً أبا بكر سيد المهاجرين، ولا سعد بن عبادة سيد الأنصار، ولا حتى سيداً من سادات العرب.. كان ﷺ يردف أميراً من أمراء الإسلام وشبابهم.. شاباً أسوداً صغير السن اسمه (أسامة بن زيد بن حارثة) وبجانبه صاحبه الحبشي بلال بن رباح، وهم في طريقهم نحو تحطيم الأصنام وتطهير الكعبة، لكنه كان أثناء الطريق يحطم أصنام الجاهلية داخل النفوس.. يحطم الفخر بالآباء والأجداد، ليشيد التنافس على الإنجاز والإبداع.. كان ﷺ وفي لحظات النصر يؤكد تمسكه بمبدأ المساواة التي طالما اختبأ خلفه الأدعياء، فإذا ما انتصروا تنكروا له.. مشهد جميل ورائع للنفوس المؤمنة والمتحضرة، لكنه لا شك يؤذي نفوساً غارقة في دبق الجاهلية والتخلف.

---

(١) صحيح البخاري ٤-١٥٦٠.

يقول ابن عمر رضي الله عنهما: «إن رسول الله ﷺ أقبل يوم الفتح من أعلى مكة على راحلته مردفاً أسامة بن زيد ومعه بلال»[1]

كان ذلك المنظر مفزعا لصناديد قريش وطغاتها، فشعر بعضهم بالموت رغم كل التطمينات التي قدمت لهم، فما المخرج من هذا الرعب الذي

طواغيت قريش يلوذون بالكعبة

فقد تفاقم الرعب داخلهم حتى ملأ أجوافهم، بعد أن سمعوا بقصة ابن أخطل، والتي يرويها لنا أنس فيقول: «إن رسول الله ﷺ دخل عام الفتح وعلى رأسه المغفر، فلما نزعه جاء رجل فقال: إن ابن خطل متعلق بأستار الكعبة. فقال: اقتلوه»[2]، فقتل، فالرجل لم يعلن توبته عما بدر منه ولم يطلب الرحمة، ولم يقبل دين الإسلام.. كان عناداً كأبي جهل، وقد استجار بقماش مطروح على الكعبة، فلم يمنعه ذلك القماش من السيوف.

لكن صرخة دوت فطارت قلوب طواغيت قريش من الهلع.. صرخ صارخ من جيش المسلمين و(نادى مناد: لا قريش بعد اليوم.

فقال رسول الله ﷺ: من دخل دارا فهو آمن، ومن ألقى السلاح فهو آمن.

وعمد صناديد قريش فدخلوا الكعبة فغص بهم)[3] وضاق برائحتهم وشركهم. لكن النبي عليه السلام أراد طمأنة مكة وتهدئة روع قريش، التي بدأت ترتعد من مصير ابن خطل، طمأنها مرة أخرى بحديث جميل.. سمعه ورواه لنا أحد المعنيين، واسمه العاصي بن الأسود، فيقول: «سمعت النبي ﷺ يقول يوم فتح مكة: لا يقتل قرشي صبراً بعد هذا اليوم إلى يوم القيامة»[4] «لا تغزى مكة بعد هذا اليوم»[5] وقد قبض ﷺ على

---

(١) صحيح البخاري ٤-١٥٦٢.

(٢) حديث صحيح رواه البخاري ٢-٦٥٥ ومسلم ٢-٩٨٩.

(٣) سنده صحيح رواه البيهقي في الكبرى ٩-١١٨، والطحاوي في شرح المعاني وسيمر معنا.

(٤) صحيح مسلم ٣-١٤٠٩ وكلمة أبي عند الحاكم.

(٥) سنده صحيح رواه الحميدي ١-٢٦٠ ثنا سفيان قال ثنا زكريا بن أبي زائدة عن الشعبي عن الحارث بن مالك بن البرصاء قال سمعت رسول الله يوم فتح مكة.. وهو سند مسلم في الحديث السابق مع اختلاف تلميذ زكريا وهو أحد الأئمة الثقات وكذلك الصحابي.

العاصي فعفا عنه، وغير اسمه، حيث يقول ابنه عبدالله: «لم يكن أسلم أحد من عصاة قريش غير [أبي] مطيع، كان اسمه العاصي، فسماه رسول الله ﷺ مطيعاً»[1]

لكن إذا كانت مكة لن تغزى كدولة غير مسلمة بعد اليوم، فإن حلفاء الإسلام بني خزاعة.. يريدون الاحتفال بفتحها على طريقتهم المفضلة، فتقدموا للنبي ﷺ بطلب أخذ الثأر من سبب كل هذا الذي يحدث اليوم، أي من بني بكر:

ثأر خزاعة من بني بكر

أرادت خزاعة الثأر ممن غدروا بها ونقضوا العهد والميثاق دون سابق إنذار وهم بنو بكر، فتقدموا بطلب إلى النبي ﷺ أن يأذن لهم بغزو بني بكر على ما فعلوه، فأذن لهم، لكنه حدد لهم فترة زمنية قصيرة تبدأ من الآن وحتى وقت العصر فقط. وقد أعلن ﷺ ذلك على الملأ مطمئناً قريش على أموالها ودمائها وأعراضها فقال «يوم فتح مكة: كفوا السلاح إلا خزاعة من بني بكر، فأذن لهم حتى صلوا العصر، ثم قال لهم: كفوا السلاح»[2]

ويقول أحد الصحابة من بني خزاعة واسمه أبو شريح: «أذن لنا رسول الله ﷺ يوم الفتح في قتال بني بكر، حتى أصبنا منهم ثأرنا وهو بمكة، ثم أمر رسول الله ﷺ برفع السيف»[3] وذلك بعد أن تم التخلص من ابن أخطل، وتنفس المشركون حياة أخرى، وخرجوا من بيوتهم آمنين، فانطلقوا للتفرج على مكة وهي مدينة إسلامية.. أما النبي ﷺ فتوجه نحو الكعبة، ليخلصها من أغلالها التي خنقتها ودنست طهارتها مئات السنين، ولم يكن يعلم أنها تغص بالظلمة والمجرمين، وكان برفقته هذان الأسمران العظيمان بلال وأسامة ابن زيد. فكم هو حجم الغيظ في قلوب أهل الأصنام، وهم يرون الإسلام يحتفي ببلال

---

(١) صحيح مسلم ٣-١٤٠٩ وكلمة أبي عند الحاكم.

(٢) سنده قوي رواه ابن أبي شيبة ٧-٤٠٣ حدثنا يزيد بن هارون قال حدثنا حسين المعلم عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي.. يزيد ثقة متقن التقريب ٦٠٦ وشيخه ابن ذكوان ثقة: التقريب ١٦٦ وعمرو ابن شعيب عن أبيه عن جده سند قوي مشهور.

(٣) في سنده ضعف رواه أحمد ٤-٣١ ثنا وهب بن جرير حدثني أبي سمعت يونس يحدث عن الزهري عن مسلم بن يزيد أنه سمع أبا شريح. وسبب الضعف هو التابعي ابن يزيد فلم يوثقه سوى ابن حبان، لكن حديثه مقبول عند الشواهد فيشهد له ما قبله.

وأســـامة كل هذا الاحتفاء، ويقدمهما في ســـاعات النصر التي يتطاول لها زعماء العرب كلهم؟! وهم يرون الأحساب والأنساب لا تنفع مشركاً، ولا ترفع أنفه عن الوحل.

لكـــن ذلك كله يهون أمـــام تلك الخطوات التي كان ﷺ يمشـــيها نحو «ثلاث مائة وســـتون صنماً»[1] حول الكعبة وفوقها.. كان يمشـــي نحوهـــا، والمؤمنون ينتظرون هذه اللحظات منذ ســـنوات طويلة، لتفيق قريش ومن معها على حقيقة الوهم الذي عاشوه مئات السنين.

أما المشركون فينتظرون فاجعتهم بأصنامهم، ويطرقون السمع إلى صوت متوقع.. صوت:

تحطيم الأصنام

فقد «أقبل رســـول الله ﷺ عام الفتح على ناقة لأســـامة بن زيد حتى أناخ بفناء الكعبة»[2] ثم «أقبل رســـول الله ﷺ إلى الحجر فاســـتلمه، وطاف بالبيت في يده قوس أخذ بسية[3] القوس، فأتى في طوافه صنماً في جنبة البيت يعبدونه، فجعل يطعن بها في عينيه ويقول: جاء الحق وزهق الباطل»[4]

ربما كان هذا هو هبل الذي تغنى باســـمه أبو سفيان على أرض أحد.. ربما، لكن هـــذا الصنم ليس الوحيد الذي يزعج الكعبة والحرم ومكـــة. لم يكن وحده يلوث نقاء الحياة فيها، فقد كان «حول الكعبة ثلاثمائة وستون نصباً، فجعل يطعنها بعود في يده، وجعل يقول: جاء الحق وزهق الباطل»[5]..

ولمـــا انتهى ﷺ مـــن الطواف، وتم كنس بقايا تلك الأخشـــاب، ونثار تلك الحجارة التي كانت ملقاة على الكعبة وحولها.. اكتشـــف الوثنيـــون أنهم كانوا يعبدون نفايات..

---

(١) حديث صحيح رواه الشيخان وابن حبان ١٣-١٧٢ ولفظهما هو نصباً بدل صنماً.

(٢) صحيح مسلم ٢-٩٦٦.

(٣) طرفها.

(٤) ســـنده صحيح رواه ابن خزيمة ٤-٢٣٠ ثنا عبد الله بن هاشـــم ثنا بهز يعني بن أسد ثنا سليمان بن المغيرة عن ثابت قال ثنا عبد الله بن رباح وقد سمعه من أبي هريرة ورواه أيضاً من طريق الربيع حدثنا سليمان.. به وســـليمان بن المغيرة ثقة من رجال الشـــيخين وكذلك ثابت وعبد الله ثقة من رجال مسلم فقط وقد مر الحديث تحت عنوان إسلام أبي سفيان.

(٥) صحيح البخاري ٢-٨٧٦ ومسلم ٣-١٤٠٨.

أجل نفايات، واليوم هو يوم النظافة.. جمعها المسلمون وقذفوها خارج الحرم، وربما في إحدى المزابل.

هذا هو الشرك ببساطة.. غابة من الكلام والهشيم والعناد ليس لها جذور، ويكفي للقضاء عليها عود ثقاب صغير.

كان المشهد عظيماً، وكان المسجد يغص بالمؤمنين المزينين بنصر الله وفتح مكة، وبالمشركين اللائذين ببيت الله من الموت، وكان هؤلاء المشركون على أحر من الجمر ينتظرون

بيان النصر الأول

فقد تناثرت الأصنام، وسيطر الجيش المؤمن على كل شيء فما هي لغة هؤلاء المنتصرين الجديدة، وما مصير هؤلاء الخائفين داخل الحرم وخارجه..؟

أسئلة أجاب عنها النبي ﷺ بعد أن صلى لله وحمده وأثنى عليه، وهو يمسك بخشبتي باب الكعبة عن اليمين والشمال، وذلك بعد أن «فرغ وصلى جاء فأخذ بعضادتي الباب، ثم قال: يا معشر قريش ما تقولون؟

قالوا: نقول ابن أخ، وابن عم رحيم كريم. ثم عاد عليهم القول..؟ قالوا مثل ذلك «يا معشر قريش ما تقولون؟ قالوا: نقول ابن أخ وابن عم رحيم كريم. ثم قال: يا معشر قريش.. ما تقولون؟ قالوا نقول: ابن أخ وابن عم رحيم كريم»

قال: فإني أقول كما قال أخي يوسف: لا تثريب عليكم اليوم.. يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين»[1]

سمع الطواغيت البيان رقم واحد، فكادت فرحتهم تفجر جدران الكعبة، فالأرض.. كل الأرض لا تتسع لهذا الفرح، ولا يجدون خجلا وحياءً، أو حتى أعذاراً تصمد أمام عفو محمد.

إذا كان لعظمة محمد عليه السلام مقاييس فتلك هي مقاييسها.. لا انتقام للذات، ولا للأهل والعشيرة.. لا انتقام لمن مزق أجساد حمزة ومصعب بن عمير وعبد الله

---

(١) حديث صحيح مر معنا رواه النسائي في الكبرى ٦-٣٨٢ والزيادة للبيهقي في الكبرى ٩-١١٨ من طريق سلام بن مسكين ثنا ثابت البناني عن عبد الله بن رباح الأنصاري عن أبي هريرة وسلام ثقة. التقريب ١-٣٤٢ وكذلك شيخه وشيخ شيخه التابعي ابن رباح.

ابــن جحش، ولا نواح على تلك الطريقة الشــنيعة التي شــوهوا بها ..لم يأخذ ســبايا ولا أمــوالاً، لكنــه أخذ القلوب والعقول والأرواح.. ترك كل شــيء لله، فمن أجله دعا، وفي ســبيله حارب وحورب وانتصر، وهاهو يشــرع أبواب الله لمن يريد الدخول فيها.. يشــرعها بالعفو والصفح وطي الماضي بآلامه، والبدء من جديد لإعادة تشكيل الأرض ومن عليها.. هرول المشــركون الطلقاء إلى النبي ﷺ «فبايعوه على الإسلام»[1] بعد أن تناثرت الأصنــام وطهرت الكعبة من الخارج، فأراد النبــي ﷺ تطهيرها من الداخل، فطلب مفاتيح الكعبة من العائلة التي شرفها الله بحجابة بيته وخدمته وسدانته.

من هذه العائلة وما هي قصة السدانة

باختصار شديد: كان في قريش زعيم يقال له (قصي)، حيث يتم في بيته كل أمر يهم القبيلة ويؤثر في مســارها، وكان له أربعة أولاد أكبرهم (عبد الدار) وأحدهم جد النبي ﷺ واسمه: (عبد مناف) فجعل قصي أمر الكعبة من اختصاص ابنه عبد الدار، الذي يقف حفيده بجانب النبي ﷺ واســم حفيده هــذا: «عثمان بن عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار».. وهو يلقب الآن «الحجبي»[2] وكانت المفاتيح عند أمه، وهي مشركة وترفض تسليمها، فاستأذن لإحضارها.

يقول أحد الشباب المتشوقين لدخول الكعبة أن نبي الله ﷺ «دعا عثمان بن طلحة فقال: ائتني بالمفتاح فذهب إلى أمه.. فأبت أن تعطيه فقال: والله لتعطينه أو ليخرجن هذا السيف من صلبي.. فأعطته إياه فجاء به إلى النبي ﷺ فدفعه إليه ففتح الباب»[3] وكانــت المفاجــأة عندما خرج صناديد قريــش من الكعبة وكأنما خلقــوا من جديد.. (فخرجوا [كأنما نشــروا من القبور فدخلوا في الإسلام]»[4] فوجدوا رسول الله أرحم

---

(١) حديث صحيح مر معنا رواه النســائي في الكبرى ٦-٣٨٢ والزيادة للبيهقي في الكبرى ٩-١١٨ من طريق ســلام بن مســكين ثنا ثابت البناني عن عبد الله بن رباح الأنصاري عن أبي هريرة وســلام ثقة. التقريب ١-٣٤٢ وكذلك شيخه وشيخ شيخه التابعي ابن رباح.

(٢) صحيح مسلم ٢-٩٦٦.

(٣) صحيح مسلم ٢-٩٦٦.

(٤) حديث صحيح مر معنا رواه النســائي في الكبرى ٦-٣٨٢ والزيادة للبيهقي في الكبرى ٩-١١٨ من طريق ســلام بن مســكين ثنا ثابت البناني عن عبد الله بن رباح عن أبي هريرة. ســلام ثقة. التقريب ١-٣٤٢ وكذلك شيخه وشيخ شيخه التابعي ابن رباح.

بهم من أمهاتهم بعفوه وصفحه عنهم، ولم يكتف بذلك، بل دعا لهم بالمغفرة قائلا: يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين..

وفتحت الكعبة له عليه السلام لكنه رفض دخولها.

لماذا رفض النبي دخول الكعبة

لقد شاهد مناظر كدرته.. شاهد الشرك متعفناً داخل الكعبة يلوثها، ويخنق براءتها.. شاهد صوراً وتماثيل هي بالنسبة لكثير ممن يعمرون القبور وينسون الإنسان تحفاً وآثاراً يجب الحفاظ عليها، لكن النبي ﷺ يقدم درساً علمياً لمن يجعلون من تلك الآثار وحياً لا يكذب.. درساً يقول إنها أعمال بشرية محضة تنبع من ميول الإنسان وخياله، وهواه وأساطيره وخرافاته، ولا تعدو إطلاقاً كونها عملاً فنياً يصدر عن ذات وميول من رسمها ونحتها.

رفض ﷺ دخولها حتى يتم تطهيرها تماماً و«أبى أن يدخل البيت وفيه الآلهة، فأمر بها فأخرجت. فأخرج صورة إبراهيم وإسماعيل في أيديهما الأزلام، فقال النبي ﷺ: قاتلهم الله لقد علموا ما استقسما بها»[1] هذا هو مصير التماثيل، أما الصور المرسومة على جدران الكعبة «فوجد فيه صورة إبراهيم وصورة مريم، فقال: أما لهم فقد سمعوا أن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه صورة. هذا إبراهيم مصور فما له يستقسم»[2] و«لما رأى الصور في البيت لم يدخل حتى أمر بها فمحيت»[3]

ثم دخل النبي ﷺ الكعبة.. لم يدخل معه أبو بكر ولا عمر ولا سعد بن عبادة، ولا غيرهم من كبار الصحابة.. دخل معه أسامة وبلال وسادن الكعبة « دخل النبي ﷺ وبلال وأسامة بن زيد وعثمان بن طلحة، وأمر بالباب فأغلق فلبثوا فيه ملياً»[4] «فكبر في نواحي البيت»[5]

---

(١) صحيح البخاري ٤-١٥٦١.
(٢) صحيح البخاري ٣-١٢٢٣.
(٣) صحيح البخاري ٣-١٢٢٣.
(٤) صحيح مسلم ٢-٩٦٦.
(٥) صحيح مسلم ٤-١٥٦١.

يقول الشاب عبد الله بن عمر: «فمكثوا فيه ملياً، ثم فتح الباب فخرج النبي ﷺ، ورقيت الدرجة فدخلت البيت»[1] «فكنت أول من دخل فلقيت بلالاً، فقلت: أين صلى رسول الله ﷺ؟ فقال: بين العمودين المقدمين.

فنسيت أن أسأله كم صلى رسول الله ﷺ»[2].

استطاع الشاب ابن عمر أن يسبق غيره إلى الدخول إلى الكعبة، فقد كان نموذجاً حرفياً لسنة النبي ﷺ لا يحب الزيادة عليها ولا النقصان، فهي الكمال وهي النموذج، والناس تتأرجح صعوداً ونزولاً حولها. وبينما كان ابن عمر مأخوذاً بتطبيق سنة النبي ﷺ هرول من في المسجد نحو النبي ﷺ، أما أبو بكر الصديق رضي الله عنه فقد هرول خارجاً من المسجد.. يدفعه البر وتحمله الصلة. ثم عاد رضي الله عنه إلى النبي ﷺ، فوجده بعدما خرج من المسجد.. «أتاه أبو بكر بأبيه يعوده، فلما رآه الرسول ﷺ قال: هلا تركت الشيخ في بيته حتى أكون أنا آتيه فيه؟

قال أبو بكر: يا رسول الله هو أحق أن يمشي إليك من أن تمشي أنت إليه.

فأجلسه بين يديه، ثم مسح صدره ثم قال له: أسلم.

فأسلم ودخل به أبو بكر رضي الله عنه على رسول الله ﷺ ورأسه كأنه ثغامة، فقال رسول الله ﷺ: غيروا هذا من شعره.

ثم قام أبو بكر فأخذ بيد أخته فقال: أنشد بالله وبالإسلام طوق أختي. فلم يجبه أحد. فقال: يا أخية احتسبي طوقك»[3]

ثم أخذ أباه «فأمر به إلى نسائه قال: غيروا هذا بشيء»[4]، أما عثمان بن عفان رضي الله عنه هذا الرجل المثال في صلته بأرحامه، فقد تهادى نحو النبي ﷺ، وبصحبته رجل يسحب خجله وعاره معه.. ذلك الرجل الذي خان الأمانة والثقة، ورضي بأكوام الحجارة، لكن السيف أعاد له رشده وما شرد من صوابه.

---

(١) صحيح مسلم ٢-٩٦٧.

(٢) صحيح مسلم ٢-٩٦٧.

(٣) إسناده صحيح رواه ابن إسحاق حدثني يحيى بن عباد، عن أبيه عن جدته أسماء. وشيخه ووالده ثقتان. وقد مر السند في بدايات فتح مكة.

(٤) صحيح مسلم ٣-١٦٦٣ أي غيروا لون الشيب الأبيض.

عثمان بن عفان يسحب عبد الله ابن أبي سرح للنبي ﷺ ذليلاً خائفاً تائباً معتذراً، ويلخص أحد الصحابة مصيبته وتوبته بكلمات فيقول «كان عبد الله بن سعد بن أبي سرح يكتب لرسول الله ﷺ فأزله الشيطان، فلحق بالكفار فأمر به رسول الله ﷺ أن يقتل يوم الفتح، فاستجار له عثمان بن عفان، فأجاره رسول الله ﷺ»[1].. وفي يوم آخر ولما انتهى ﷺ من مبايعة من بقي من الطلقاء الحاضرين، نهض نحو موعده مع الأنصار الكرام.. نهض نحو جبل الصفا ولما «أتى الصفا لميعاد الأنصار»[2] حسب اتفاقه مع أبي هريرة أن يجمع له الأنصار عند ذلك الجبل، وتحت ذلك الجبل أحس الأنصار بمرارة لا تطاق.. شعروا بلهف النبي ﷺ على مكة وبيت ربه، وأشعرهم عفو النبي ﷺ عن قريش وكأن المدينة والأنصار في حالة وداع لا يحتمل، فكانت هذه القصة التي ترتب:

حب الأنصار ثم باقي البشر

أبو هريرة كان هناك.. حول الصفا يروي ويرتوي من ينابيع الحب فيقول أن النبي ﷺ: «أتى الصفا فعلاها حيث ينظر إلى البيت، فرفع يديه وجعل يحمد الله ويذكره، ويدعو بما شاء أن يدعو، والأنصار تحته..

يقول الأنصار بعضها لبعض: أما الرجل فأدركته رغبة في قريته، ورأفة بعشيرته.

قال أبو هريرة: وجاء الوحي، وكان إذا جاء الوحي لم يخف علينا، فليس أحد من الناس يرفع طرفه إلى رسول الله ﷺ حتى يقضي. فلما قضي الوحي قال رسول الله ﷺ: يا معشر الأنصار.. قالوا: لبيك يا رسول الله. قال: قلتم أما الرجل فأدركته رغبة في قريته ورأفة بعشيرته؟ قالوا: قد قلنا ذلك يا رسول الله. قال فما أسمى إذاً؟! كلا إني عبد الله ورسول الله، هاجرت إلى الله وإليكم، المحيا محياكم، والممات مماتكم، فأقبلوا إليه يبكون يقولون: والله يا رسول الله ما قلنا الذي قلنا إلا للضن بالله ورسوله.

---

(١) سنده حسن رواه أبو داود ٤-١٢٨ حدثنا أحمد بن محمد (بن حنبل) ثنا علي بن الحسين بن واقد عن أبيه عن يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس. يزيد ثقة عابد: التقريب ٦٠١ والحسين ثقة: التقريب ١٩٦ وابنه حسن الحديث إذا لم يخالف. التقريب ٤٠٠.

(٢) هو حديث أبي هريرة السابق عند النسائي وغيره.

قال: فإن الله ورسوله يعذرانكم ويصدقانكم»[1] «فوالله ما منهم أحد إلا بل نحره بالدمـــوع»[2] «قـــال أبو هريرة: فرأيت الشـــيوخ يبكون حتى بل الدمـــوع لحاهم»[3] في حضرة هذا الوفاء الذي تسيل فيه الدموع، بعد أن عجزت الكلمات عن التعبير.

بهذا الوفاء غســـل ﷺ قلوب الأنصار من الحزن، بعد أن غســـل المســـجد الحرام والكعبة من الشـــرك والأصنام، وبتلك العبارات شـــعر الأنصار أنهم سادة الدنيا، وأن مدينتهم غدت عاصمة الإسلام، حتى مكة أفضل بقعة على وجه الأرض.. غدت مدينة تابعة للمدينة المنورة.

أدرك الأنصـــار كم هو وفي وعظيم هذا النبـــي، وأن مصطلحات تعامله لا تعرف شـــيئاً عن الجحود والنكران، وأدرك أبو سفيان ومن معه كم يرفع الإسلام أهله ويعلي قدرهم، فهو اليوم يرى نفسه ومن معه من صناديد قريش دون من سبقهم إلى الإسلام.. دون من تخلوا عن العناد والمكابرة وإغلاق العقول، وأدرك كذلك أن الإسلام وضع اليوم قدمه وقدم من أســـلم معه على أول المضمار، وعليهم أن يبذلوا الكثير ليلحقوا بهؤلاء العظماء الذين اصطحبهم محمد ﷺ معه من المدينة وغيرها.

أمـــا النبي ﷺ فقد أنهى كلماته تلك حيـــث كان الوقت ضحى، ثم توجه نحو بيت ابنة عمه أبي طالب وهي أخت علي وتدعى (أم هانئ) كي يرتاح ويغتسل، ويغسل غبار الســـفر والتعب عنه، وأخذ بصحبته ابنته فاطمة وزوجها علياً رضي الله عنهما، وقد جرت بعض الـ:

أحداث في بيت أم هانئ

تقول رضي الله عنها: «إنه يوم فتح مكة اغتســـل في بيتها ثم صلى ثماني ركعات. قالت لم أره صلى صلاة أخف منها، غير أنه يتم الركوع والسجود»[4] وتقول رضي الله

---

(١) حديث صحيح رواه مســـلم وأحمد ٢-٥٣٨ وابن أبي شـــيبة ٧-٣٩٧ واللفظ له من طرق عن ســـليمان بن المغيرة عن ثابت قال هاشم قال حدثني ثابت البناني ثنا عبد الله بن رباح.

(٢) هـــذه اللفظـــة صحيحة عند الدارقطني والحاكم ٢-٦٢ من طريق محمد بن الفضل عارم وهدبة بن خالد قالا حدثنا ســـلام بن مســـكين عن ثابت عن عبد الله بن رباح عن أبي هريرة وسندها صحيح. سلام ثقة: التقريب ٢٦١ وعارم ثقة ثبت التقريب ٥٠١.

(٣) هو جزء من حديث أبي هريرة السابق وهذه اللفظة عند النسائي في الكبرى ٦-٣٨٢.

(٤) صحيح البخاري ٤-١٥٦٢.

عنها عندما «كان نازلاً عليها: إن النبي ﷺ ستر عليه، فاغتسل في الضحى فصلى ثمان ركعات، لا يدري قيامها أطول أم ركوعها أم سجودها»[1]

وأثناء ذلك جاء رجل يرتجف من المشركين يقال له (ابن هبيرة) إلى أم هانئ، فاراً من الموت طالباً اللجوء والحماية، لكن كيف سينجو وعلي بن أبي طالب هو من يلاحقه!

تقول أم هانئ: «ذهبت إلى رسول الله ﷺ عام الفتح فوجدته يغتسل وفاطمة ابنته تستره بثوب، فسلمت. فقال: من هذه؟ قلت: أم هانئ بنت أبي طالب. قال: مرحباً بأم هانئ.

فلما فرغ من غسله قام فصلى ثماني ركعات ملتحفاً في ثوب واحد، فلما انصرف قلت: يا رسول الله.. زعم ابن أمي علي بن أبي طالب أنه قاتل رجلاً أجرته (فلان بن هبيرة)؟

فقال رسول الله ﷺ: قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ. قالت أم هانئ: وذلك ضحى»[2] فالإسلام لا يفرق بين الرجل والمرأة في هذا الشأن، وللمرأة أدوارها العظيمة في الحياة الإسلامية، بشرط أن تعيها وترتقي إلى مستوى الإسلام في تفكيرها واهتماماتها.

ولما جاء وقت العصر أمر ﷺ بني خزاعة بالتوقف عن القتال.

يقول أحد الصحابة: «لما فتح على رسول الله ﷺ مكة قال كفوا السلاح إلا خزاعة عن بني بكر، فأذن لهم حتى صلوا العصر، ثم قال كفوا السلاح»[3] فكفوا السلاح.

انقضى العصر وانقضى القتال وجاء الليل فأين سينزل رسول الله ﷺ؟

طرح أسامة هذا السؤال على النبي عليه السلام فقال: «يا رسول الله أين تنزل غداً قال النبي ﷺ: وهل ترك لنا عقيل من منزل؟ ثم قال: لا يرث المؤمن الكافر، ولا يرث الكافر المؤمن»[4]. أي أن النبي ﷺ لم يرث نصيب أبيه من تلك الدار، وكذلك علي رضي الله عنه لم يرث نصيب والده أبي طالب، فاستولى عقيل على نصيبيهما، لأنه لم يسلم.

---

(١) سنده صحيح رواه عبد الرزاق ٥-٣٠ عن ابن جريج حدثنا ابن شهاب عن عبد الله ابن الحارث عن أم هانئ ابن جريج لم يدلس وابن الحارث قال على بن المديني عنه: ثقة سمع من عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم ... ومن أم هانئ - الجرح والتعديل ٥-٣٠.

(٢) صحيح مسلم ١-٤٩٨.

(٣) صحيح البخاري ٤-١٥٦٢.

(٤) صحيح البخاري ٤-١٥٦٠.

بحث ﷺ عن مكان يبيت فيه.. لم يصادر بيت زعيم أو صنديد، ولم يغتصب أرضاً ولا بيتاً ولا حتى خيمة بحجة أنه رأس الدولة الإسلامية، أو بحاجة أنه فاتح منتصر.

فقط نام حيث يسر الله له، ولما جاء الغد حدث خرق لذلك الأمر الذي أصدره النبي ﷺ بوقف القتل والقتال، وقد قام بارتكاب تلك الحماقة رجل من خزاعة، ضد أحد رجال بني بكر، ولما وصل الأمر إلى النبي ﷺ غضب غضباً شديداً، وأنكر ذلك العمل وأصدر:

البيان رقم (٢) للدولة الإسلامية في مكة

يقول أحد الصحابة: «لما فتح على رسول الله ﷺ مكة قال: كفوا السلاح إلا خزاعة عن بني بكر. فأذن لهم حتى صلوا العصر ثم قال: كفوا السلاح. فلقى من الغد رجل من خزاعة رجلاً من بني بكر بالمزدلفة فقتله، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ.

فقام خطيباً فقال: «يا أيها الناس إن الله عز وجل كرم مكة يوم خلق السماوات والأرض، فهي حرام من حرام الله تعالى إلى يوم القيامة..

لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك فيها دماً، ولا يعضد بها شجراً.. لم تحلل لأحد كان قبلي، ولا تحل لأحد يكون بعدي، ولم تحلل لي إلا هذه الساعة غضباً على أهلها.

ألا ثم قد رجعت كحرمتها بالأمس.. ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب، فمن قال لكم: إن رسول الله ﷺ قد قاتل بها، فقولوا إن الله عز وجل قد أحلها لرسوله، ولم يحللها لكم.

يا معشر خزاعة.. ارفعوا أيديكم عن القتل، فقد كثر أن يقع. لئن قتلتم قتيلاً لأدينه، فمن قُتل بعد مقامي هذا فأهله بخير النظرين: إن شاؤوا فدم قاتله، وإن شاؤوا فعقله»[1]

«إن أعدى الناس على الله من عدا في الحرم

---

(١) سنده صحيح رواه ابن إسحاق ومن طريقه أحمد ٤-٣٢: حدثني سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي شريح الخزاعي. سعيد تابعي ثقة: التقريب ١-٢٩٧ وشيخه صحابي.

ومن قتل غير قاتله.

ومن قتل بذحول الجاهلية[1]

فقال رجل: يا رسول الله إن ابني فلاناً عاهرت بأمه في الجاهلية[2].

فقال: لا دعوة في الإسلام.. ذهب أمر الجاهلية، الولد للفراش[3]، وللعاهر الأثلب.

قيل: يا رسول الله.. وما الأثلب؟

قال: الحجر

وفي الأصابع عشر عشر[4]

وفي المواضح خمس خمس[5]

ولا صلاة بعد الصبح حتى تشرق الشمس، ولا صلاة بعد العصر حتى تغرب الشمس.

ولا تنكح المرأة على عمتها، ولا على خالتها.

ولا يجوز لامرأة عطية إلا بإذن زوجها[6]

وأوفوا بحلف الجاهلية، فإن الإسلام لم يزده إلا شدة.

ولا تحدثوا حلفاً في الإسلام»[7]

وبعد أن انتهى من خطبته «ودى رسول الله ﷺ الرجل الذي قتلته خزاعة»[8] أي دفع دية الرجل المقتول من بني بكر، ثم حدد ﷺ عقوبة جنائية للقتل خطأ.

---

(١) أي قتل أحداً ثأراً.

(٢) أنه أنجب هذا الولد عن طريق الزنا.

(٣) الولد للفراش أي أن ولد الزنا ينسب لأمه فيقال فلان بن فلانة أما العاهر أي الرجل فله الرجم بالحجر.

(٤) أي من قطع إصبع أحد فدية كل أصبع عشر من الإبل.

(٥) الجرح الذي يوضح العظم.

(٦) لا يجوز للمرأة أن تنفق من مال زوجها إلا بإذنه.

(٧) حديث حسن رواه أحمد ٢-٢٠٧ وابن أبي شيبة ٧-٤٠٣ والحارث «زوائد» ٢-٧٠٩ وغيرهم من طرق عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وهذا السند قوي مشهور.

(٨) هو حديث ابن إسحاق وأحمد السابق وهو صحيح.

«فقـــال: لا إله إلا الله وحده نصر عبده وهـــزم الأحزاب وحده.. الحمد لله الذي صـــدق وعده، ونصر عبده. ألا إن كل مأثرة كانت في الجاهلية تعد وتدعى، وكل دم أو دعوى موضوعة تحت قدمي[1] هاتين، إلا ســـدانة البيت وســـقاية الحاج، ألا وإن قتيل خطـــأ العمد بالســـوط والعصا والحجر ديـــة مغلظة مائة من الإبـــل، منها أربعون في بطونها أولادها»[2]

توالت التوبة تلو التوبة، والبيعة تلو البيعة، وأعطي الطلقاء فرصة كبيرة للتفكير والتروي ومراجعة النفس، والتعود على حياة صافية دون أصنام أو أوثان أو خرافات، لذلك:

قرر النبي ﷺ البقاء في مكة

لمدة تكفي لإذابة ما بقي في نفوس الطلقاء من بقايا الجاهلية.

يقول أحد الصحابة «أقام النبي ﷺ بمكة تسعة عشر يوماً يصلي ركعتين»[3] الظهر ركعتين، والعصر والعشاء كذلك، أما المغرب والفجر فليس فيهما قصر، وكان من عادة النبي ﷺ أن يقصر الصلاة إذا خرج من المدينة مسافة تقارب الثلاثين كيلومتراً.

يقول أنس بن مالك «كان رســـول الله ﷺ إذا خرج مســـيرة ثلاثة أميال، أو ثلاثة فراســـخ صلى ركعتين»[4] والقصر هو أن يؤدي الصلاة ذات الأربع ركعات ركعتين بدلاً من أربع طوال أيام السفر، وهذا ما فعله النبي ﷺ مدة بقائه في مكة، حيث كانت تلك الأيـــام عبارة عن إعطاء الطلقاء فرصة لتغييـــر الزاوية التي كانوا ينظرون من خلالها

---

(١) أي باطلة لا قيمة لها.

(٢) بين كلمة: بالعمد والســـوط قال الراوي: «قال هشيم مرة». سنده قوي رواه أحمد ٣-٤١٠ من طريق خالد الحذاء عن القاسم بن ربيعة بن جوشن عن عقبة بن أوس عن رجل من أصحاب النبي ﷺ: وعقبة تابعي صـــدوق التقريب ٢-٢٦ وتلميذه تابعي ثقة: التقريب ٢-١١٦ وخالد بن مهران تابعي صغير ثقة: التقريب وللحديث شواهد تقوية.

(٣) رواه البخاري ٤-١٥٦٤.

(٤) صحيح مسلم ١-٤٨١. وبعد كلمة فراسخ قال الراوي: «شعبة الشاك» أي الذي تردد في الجزم بأنها ميل أو فرسخ هو شعبة بن الحجاج وليس أنس فيؤخذ بالأكثر لأنه لا شك فيه والفرسخ مسافة تقارب ثمانية كيلومتـــرات. أمـــا الحديث الذي يرويه عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه وعطاء بن أبي رباح عن بن عباس أن رســـول الله ﷺ قال: يا أهل مكة لا تقصروا الصلاة في أدنى من أربعة برد من مكة إلى عســـفان، أي ثمانين كيلو متر، فهو حديث مكذوب، لأن عبد الوهاب كذاب